القمر الباكي

استوقفتني ... ترى من أنت؟
قافلة من الخيالات تمشي بي وأمشيها
من أين ؟
من بؤرة النيران سيدتي
من القصيدة.. إني من قوافيها
من الحروف اليتامي .. مات معجمها
ومن بحار الرؤى باعت موانيها
ما موطني ؟
كلماتى حين أكتبها
قصائدا في العشايا الصفر ألقيها
لأين تمضي؟
لماض فر من زمني
في بًلدة كنت يوما من نبييها
وكنت وحدي حضارات المياه بها
حين انبثقت غديرا في أراضيها
كانت علي شرفات الأفق مشرقة
مثل النبوءة في أبهى تجليها
تحبها؟
فوق مايدري الهوى.... بلدي
حكاية أتلاشى حين أحكيها.
غدا سأبحث عني في أزقتها
وفي حنايا الحنايا من حواريها
في الملح يقضم أكتاف الدروب بها
وفي الغبار الذي يكسو مبانيها
كم عشت فيها ؟
سنينا ما لها عدد
مرت كما يمسح الدمعات باكيها
شبعت فيها ائتلاقا لا انطفاء له
أيام كان الضحى إحدى ضواحيها
وكانت الشمس تمشي في شوارعها
والريح للأعين الجوعى تعريها
وكانت الأنجم العذراء تدخلها
لتحتسي الصمت شايا في مقاهيها
وكم غفوت كقط في حدائقها.
وكم وقفت كظبي في نواصيها.
وكم خدشت بها نهدين من ذهب
وكم كسرت كؤوسا في ملاهيها
أرهقت فيه مدار العمر في سفه
حتى استقالت نجومي من لياليها
وذات يوم توارى سحر والدتى
وأصبح العشب لا يرتاد واديها

كانت طفولية العينين نورسة
تعدو البحار إليها كي تحييها
وكنت أرنو الحروف الخضر تسكنها
والصيف ينزل ضيفا في مآقيها
أشم فيها تفاعيلا مزركشة
فسيفساء دمشق لاتضاهيها
وفجأة رحلت في الغيم تاركة
أدمى فصول التراجيديا أقاسيها
أما أبي فهو مزمار له زمن
يشجي العشايا مواويلا ويدميها
يحكي رصيف...
مشي يوما علي رئتي
وخلفه أغنيات لست أحصيها
يسائل الريح ... هل صادفت قافية
مائية
يتندي كل ما فيها؟
وكالنشيد المقفي ينحني ولها
يفتش الصمت عن رؤيا يناجيها
عن اللحون مياه الصمت تجرفها
والريح في شاطئ النسيان ترميها
عن جوقة من طيور الفجر صادحة
طارت تسابق سربا من أغانيها
واليوم جاءت إليّ الأرض صارخة..
أبوك ينفي هضابي من روابيها
أسفاره اتعبتني فهو مرتحل
كنجمة لم تجد أفقا ليؤويها
همست في خجل والحزن يقتلني
وتحت جلدي بلاد مات من فيها
(هذا أبي يبدأ المأساة...مقتحما
كل الخطوط وينسى كيف ينهيها)
يا أيها القمر المنفي...يا أبتي
إن السماوات لا تنسي محبيها
اهبط معي مرة ..نشدو لسنبلة..
في عرسها الأخضر اغتالوا مغنيها
اهبط فنحن بحارٌ لا مياه بها
ونحن أشرعة باعت صواريها
ولا تسلني عن الأشعار يا أبتي
كل التفاعيل قد خانت قوافيها

أحمد غراب